**قواعد التخاطب في التداولية:**

لقد ذكر الدكتور طه عبد الرحمان أن للكلام خاصيتين (عقلانية و أخلاقية )، فالعقلانية تخص الجانب التواصلي، والاخلاقية تخص الجانب التعاملي، فالتخاطب يقتضي " اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الاقوال بقواعد تحدد وجود فائدتها الاخبارية أو قل (فائدتها التواصلية) نسميها بقواعد التبليغ، علما بأنّ مصطلح التبليغ موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالانسان، كما لزم أن تنضبط هذه الافعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الاخلاقية أو قل التعاملية، نسميها بقواعد التهذيب، مع العلم بأنّ مصلح التهذيب موضوع للدلالة على التعامل الاخلاقي"(([[1]](#footnote-1).

لقد أدرج الدكتور طه التعامل الاخلاقي في التخاطب ضمن مجموعة من المبادئ التي وضعها علماء غربيون حددوا فيها (قواعد التلطف والتأدب والكياسة) وهي:

1. **مبدأ التعاون (غرايس)**
2. **مبدأ التأدب (لاكوف)**
3. **مبدأ التواجه (براون وليفنسون)**
4. **مبدأ التأدب الأقصى أو اللطف (ليتش)**

**قواعد التلطف (التأدّب والكياسة)**

1. **مبدأ التعاون:** لقد بين الفيلسوف الامريكي **(غرايس)** أن للتخاطب قواعد لابدّ أن يراعيها المتكلم ، إذ قسّمها على عدّة فروع وهي كما يأتي:
* **قاعدة الكم:**أي أن يكون الكلام موجزا وعلى قدر حاجةالمخاطبوافهامه
* **قاعدة النوع:**أي أن يكون المتكلم صادقا ويمتلك البيّنة على مايقول
* **قاعدة المناسبة:**أي أن يلائم المقال مقام المخاطب
* **قاعدة الكيف(الطريقة):**أي الاحتراز من الابهام والغموض والايجاز وترتيب الكلام(([[2]](#footnote-2)**.**
1. **مبدأ التأدب (لاكوف)**:

لقد أفادت لاكوف من مبدأ التعاون وطوّرته لتخرج بقواعد جديدة تهذب الخطاب وهي: (([[3]](#footnote-3)

* **قاعدة التعفف**:أي لا تفرض نفسك على المخاطب، اذ يجب عليك أن تحافظ على المسافة بينك وبين المخاطب ولا تقحم نفسك عنوة، فعليك تجنب الأفعال المباشرة في الطلب، فضلا عن تجنب الالحاح أو إكراه المخاطب على فعل ماتريد(([[4]](#footnote-4).
* **قاعدة التشكك(التخيير)**:أي تترك للمخاطب حق الاختيار بين القبول والرفض، كأن تستعمل أساليب الاستفهام في التخاطب كي تسمح للمخاطب بالمشاركة في اتخاذ القرار، وعدم الزامه باسلوب الامر المباشر، فتقول له مثلا:(هل تسمح أن تعيرني كتابك؟) بدلا من قولك (أعرني كتابك)، فالفرق بين الجملتين هو ان السياق الاول كان فيه تلطف وتأدب في الطلب وقد توفر فيه الشرطان (التعفف والتخيير)، وكذلك **قوله تعالى**:"**ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**" سورة الحديد/16
* **قاعدة التودد**:أي أظهر الودّ لتكسب المخاطب، ويكون ذلك باستعمال صيغ (التصغير والكنية واللقب)، فهي تؤنس المخاطب وتطمئنه.

لقد ذهب الدكتور طه الى أنّ قواعد غرايس الاربعة تجتمع في قاعدة التعفف التي ذكرتها لاكوف(([[5]](#footnote-5).

1. **مبدأ التواجه (براون وليفنسون):** ويقصد به صيانة وجه الغير وحفظ ماء وجهه، وقسماه على ضربين
* **الوجه الجالب:**حفظ ماء وجهه بحفظ ماء وجه المخاطب**،** عن طريق استعمال الاساليب غير المباشرة في التخاطبويكون فيه تلطفوتودد**،** فهو يحدث الانس والألفة مما يسهم في انجاح التواصل الانساني
* **الوجه الدافع:**مفهوم سلبي يستخدم فيه المتكلم التهكم والسخرية والتهديد والتحذير والوعيد، أواسلوب الامرالمباشر**،** إذ لا يعدّ كل ذلك من قبيل التلطف(([[6]](#footnote-6)**.**
1. **مبدأ التأدب الأقصى(ليتش):**

لقد أورد ليتش مبدأ اللطف في الفعل الكلامي منطلقا من المبدأ التعاوني لغرايس الذي عدّه غير كافٍ وقواعده ليست شاملة للغة التخاطب، فأضاف بعض المعطيات الاجتماعية والنفسية وصاغها في ست قواعد على وفق ثنائيات متضادة (تأدب نسبي/ تأدب أقصى) ويعني به الاكثار من الكلام المؤدب والتقليل من الكلام غير المؤدب، والقواعد هي: (([[7]](#footnote-7)

* **قاعدة اللباقة**
* **قاعدة السخاء**
* **قاعدة الاستحسان**
* **قاعدة التواضع**
* **قاعدة الاتفاق**
* **قاعدة التعاطف**

ولابدّ لنا من ذكر بعض الجمل التي تمثل سلماً كلامياً يتدرج فيه التلطف الى أن يصل الى أقصاه

* **إحمل حقيبتي**
* **أريد أن تحمل حقيبتي**
* **هل يمكن أن تحمل حقيبتي؟**
* **لوسمحت أيمكن أن تحمل لي حقيبتي؟**

نلاحظ في الجملة الاولى أنّها كانت بفعل الامر المباشر الذي يخرق قاعدة التعفف وقاعدة الوجه الجالب وقاعدة اللباقة، أما الجملة الثانية فقد كانت جملة خبرية أخف وقعا من اسلوب الامر تترك للمخاطب خيارا في انجاز ما يطلب منه، والجملة الثالثة تلتزم بقواعد التلطف وأكثر لباقة من سابقتيها فقد سمحت للمخاطب بالمشاركة في القرار إما بالقبول أو الرفض، وجاءت الجملة الرابعة لتحقق التأدب الاقصى وغاية اللطف ، فالمؤشر القولي المستعمل لو سمحت كان الأكثر لباقة.

نخلص مما سبق أنالتخاطب والتلفظعلى وفق هذه القواعد التداولية سيحول دون تولد النزاع بين طرفي الخطاب، كما يؤكد على حضور التعاون بينهما، فاستعمال اسلوب الامر أو النهي المباشر سيخلّ بهذه القواعد وسيحدث نزاعا بين الطرفين، أما الالتزام بها فسيقود الخطاب الى قمة التأدب والتلطف والكياسة.

من الامثلة القرآنية على ذلك الحوار الذي دار بين هابيل وقابيل: " وأتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتُقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنّما يتقبل الله من المتقين\* لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربّ العالمين " سورة المائدة/27-28، نلاحظ في هذا النص القراني الكريم الفرق بين خطاب هابيل وقابيل، فقال قابيل لأخيه (لأقتلنّك) فاستعمل المؤكدات اللام ونون التوكيد الثقيلة ، فضلا عن التهديد والوعيد بالقتل بسبب الحسد، أما هابيل فلم يبادله بحدة الخطاب نفسها بل كان في غاية اللطف والترفق فاستعمل اسلوب التعريض (إنّما يتقبل الله من الصالحين)، ثم اتبع خطابه باسلوب الشرط بدلا من الافعال المباشرة، فضلا عن استعمال الجملة الفعلية التي تدلّ على الحركة والتغير، للدلالة على احتمالية تبدل وتغير موقف قابيل من قتل أخيه، ونلحظ استعمال الجملة الاسمية في خطاب هابيل للدلالة على ثبوتية موقفه وعدم تغيره، ففي كل الاحوال لم و لن يؤذي أخيه وإن أقدم على قتله، ثم عاد ليستعمل اسلوب التعريض في قوله (انّي اخاف الله رب العالمين).

**ثبت المصادر**

* **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004**
* **البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، ط2، الشركة المصرية، القاهرة، 2007**
* **جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى الغلاييني، تحقيق : احمد جاد، ط1، دار الغد الجديد ، القاهرة،القاهرة، 2007**
* **دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة،1992**
* **علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، ط1، مكتبة دار العروبة، الكويت 1982، 240**
* **العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5،دار الجيل، 1981**
* **عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005**
* **كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة أحمد أمين الخولي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963**
* **الكناية والتعريض، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، دراسة وشرح وتحقيق: د.عائشة حسين فريد، ط1، دار قباء، مصر، 1998**
* **لسان العرب، ابن منظور ، تصحيح: امين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت ، 1999**
* **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدكتور طه عبد الرحمان، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998**
* **معجم البلاغة العربية، الدكتور بدوي طبانة، ط3، دار المنارة، جدة، 1988، 608**
* **معجم المصطلحات البلاغية، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983**
* **معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت**
* **المنتخب من كنايات الادباء وإرشادات البلغاء،ابو العباس احمد بن محمد الجرجاني،صححه محمد بدر الدين الحلبي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1908**
* **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، ط2، دار المعارف، مصر**
* **نهاية الإرب في فنون الادب، شهاب الدين النويري،تحقيق: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2004**

**المجلات:**

* **أثر التلطف في التطور المصطلحي، سعيد جبر أبو خضر، المجلة العربية للعلوم الانسانية، الاردن، العدد 112**
1. ) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدكتور طه عبد الرحمان، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، 237 [↑](#footnote-ref-1)
2. ) ينظر: م.ن: 238 [↑](#footnote-ref-2)
3. ) ينظر: م.ن: 240-241 [↑](#footnote-ref-3)
4. ) ينظر: استراتيجيات الخطاب: 100 [↑](#footnote-ref-4)
5. ) ينظر: اللسان والميزان: 242 [↑](#footnote-ref-5)
6. ) ينظر: م.ن: 243-245 [↑](#footnote-ref-6)
7. ) ينظر: اللسان والميزان:246-248 [↑](#footnote-ref-7)